نقد العقل البرهاني العربي عند محمد عابد الجابري

د.مها نادر عبد محسن الغرابي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات / قسم العلوم التربوية والنفسية
maha.alghuraby@uokufa.edu.iq

الملخص

يعتبر مشروع نقد العقل العربي " بأجزائه الاربعة لمحمد عابد الجابري من المشاريع التأسيسية والرائدة في قراءة التراث والفكر العربي الاسلامي برؤية نقدية تحليلية، انتهت الى نتائج واحكام بقية – وما زالت – مثار جدل ونقاش في دائرة الفكر العربي والفلسفي الحديث والمعاصر.

ان طبيعة الانقسام الذي احدثه مشروع الجابري في نقده للعقل العربي في دائرة الثقافة العربية، وطبيعة النقد الذي وجه اليه سواء بالسلب ام الايجاب، تبقى كلها تؤشر لمدى ثراء هذا المشروع واصالته، لأنه نجح – وعلى مدار ثلاثين عاماً – على تحريك الاسئلة واثارت الاشكاليات والمقاربات في المشهد الثقافي العربي، فنحن سواء اتفقنا ام اختلفنا مع مشروع الجابري، فأن الذي لا يمكننا انكاره انه حتى القراءات النقدية التي أسست طروحاته عليه، والتي كشفت عن معالجات وقراءات مغايره بأسسها المنهجية لمشروع الجابري كانت بالنتيجة مسكونة بهاجس التجديد والحداثة والمعاصرة، وجميع هذه المحددات كانت من الاسس والاصول العامة التي تأسس عليها مشروع الجابري في نقده للعقل العربي.

ونظراً لتعدد وجود اشكاليات التي اثارها مشروع الجابري وتنوعها، فلقد كان اختيارنا في هذا البحث هو التوقف عند مسألة اساسية في مشروعه وهي " **نقد العقل البرهاني العربي** "واهمية هذا الاختيار ودواعيه تتأتى من ان محمد عابد الجابري وبعد تقسيمه للعقل العربي في مشروعة الى عقل بياني، وعقل عرفاني ، وعقل برهاني فأنه وبعد المقارنة والترجيح مال الى اليات وخصائص العقل البرهاني، ولذلك ستكون غايات هذا البحث هو كشفه لمحددات اشتغال هذا العقل ومرجعياته وأسسه في مشروعة.

يمكن تلخيص اهم النتائج التي انتهى اليه البحث بما يلي:

اولاً : ان العقل البرهاني العربي من خلال رؤية الجابري لمحددات هذا العقل واليات اشتغاله كما أسس لهما في مشروعة " نقد العقل العربي " هو ذلك العقل الذي تشكل في اطار الثقافة العربية الاسلامية ، وهو يعتبر بنظره مرحلة متقدمة عن العقل البياني والعقل العرفاني .

ثانياً : قامت أسس العقل البرهاني بنظر الجابري على مكتسبات الفلسفة والعلوم العقلية – تحديداً الارسطية – وقد تم الاستفادة من مقولات هذا العقل ومبادئه الفلسفية وتوظيفها في العلوم العقلية والنقدية في دائرة التراث العربي الاسلامي خصوصاً في حقلي الفلسفة وعلم الكلام.

ثالثاً : كانت للعقل البرهاني بمنظور الجابري وظيفة ايدلوجية ومعرفية تجلت ابعادها في محاولة الخروج من دائرة ومحددات العقل البياني والعرفاني ، والانتقال من انساق الرؤية البيانية والعرفانية لمقاربة قضايا الوجود والعالم والطبيعة والانسان الى الرؤية العقلية ، لكن رغم اهمية ما حققته مكتسبات هذا العقل في روافد الثقافة العربية الا ان الانتصار النهائي بمنظور الجابري كان لهيمنة العقل البياني الذي بقي يشكل بالياته بنية العقل العربي قديماً وحديثاً .

رابعاً : ان الاثر الهام الذي احدثه الاشتغال لأليات العقل البرهاني داخل الحضارة العربية الاسلامية تجلت بشكل واضح بمنظور الجابري عند ابن رشد، حيث كشفت فلسفته عن ابعاد صراع هذا العقل مع العقل البياني والعرفاني ، وقد كان اهم ما توصل اليه ابن رشد بخوص مسألة توظيفه للعقل البرهاني في منظومته الفلسفية هو اقراره بمبدأ الفصل بين الدين والدولة.

الكلمات المفتاحية : نقد ، العقل ، البرهان ، العربي ، الأصالة ، المعاصرة .

Criticism of the proof-based Arab mind of Muhammad Abed Al-Jabri

Dr. Maha Nader Abd Mohsen Al-Gharabi
University of Kufa - College of Education for Girls / Department of Educational and Psychological Sciences
maha.alghuraby@uokufa.edu.iq

Summary

The project “Criticism of the Arab Reason” with its four parts by Muhammad Abed Al-Jabri is considered one of the foundational and pioneering projects in reading Arab-Islamic heritage and thought with a critical and analytical vision.

The nature of the division caused by Al-Jabri's project in his criticism of the Arab mind in the circle of Arab culture, and the nature of the criticism directed at it, whether positive or negative, all remain indicative of the extent of the richness and originality of this project, because it succeeded - over the course of thirty years - in raising questions and raising problems and approaches in The Arab cultural scene, whether we agree or disagree with Al-Jabri's project, what we cannot deny is that even the critical readings that based his proposals on it, which revealed treatments and readings that differed in their methodological foundations for Al-Jabri's project were, as a result, inhabited by the obsession of renewal, modernity and contemporary, and all of these determinants were from The general foundations and principles on which Al-Jabri's project was based in his critique of the Arab mind.

In view of the multiplicity and diversity of the problems raised by Al-Jabri's project, our choice in this research was to stop at a basic issue in his project, which is the "criticism of the demonstrative Arab mind." And a mystical mind, and a demonstrative mind, because after comparison and weighting, it tends to the mechanisms and characteristics of the demonstrative mind.

The most important results of the research can be summarized as follows:

First: The Arab demonstrative mind, through Al-Jabri's vision of the determinants of this reason and the mechanisms of its operation, as established for them in the project "Critique of the Arab Reason", is that reason that was formed within the framework of the Arab-Islamic culture, and in his view it is considered an advanced stage from the rhetorical reason and the mystical mind.

Second: The foundations of the demonstrative mind based Al-Jabri's view on the gains of philosophy and rational sciences - specifically Aristotelianism - and the sayings of this reason and its philosophical principles were benefited from and employed in the rational and critical sciences in the circle of the Arab-Islamic heritage, especially in the fields of philosophy and theology.

Third: The demonstrative mind, in Al-Jabri’s perspective, had an ideological and cognitive function, the dimensions of which were manifested in the attempt to get out of the circle and the determinants of the graphic and mystical mind, and to move from the formats of the graphic and mystical vision to approach the issues of existence, the world, nature, and man to the rational vision, but despite the importance of what the gains of this mind have achieved in the tributaries of Arab culture However, the final victory, according to Al-Jabri's perspective, was due to the dominance of the rhetorical mind, which continued to shape its mechanisms in the structure of the Arab mind, ancient and modern.

Fourth: The significant impact of the work on the mechanisms of demonstrative reason within the Arab-Islamic civilization was clearly evident from the

perspective of Al-Jabri at Ibn Rushd, where his philosophy revealed the dimensions of the conflict of this reason with the rhetorical and mystical reason. In his philosophical system is his approval of the principle of separation between religion and state.

Keywords: criticism, reason, proof, Arabic, originality, contemporary.

المقدمة

يعتبر مشروع نقد العقل العربي " بأجزائه الاربعة لمحمد عابد الجابري من المشاريع التأسيسية والرائدة في قراءة التراث والفكر العربي الاسلامي برؤية نقدية تحليلية، انتهت الى نتائج واحكام بقية – وما زالت – مثار جدل ونقاش في دائرة الفكر العربي والفلسفي الحديث والمعاصر.

ان طبيعة الانقسام الذي احدثه مشروع الجابري في نقده للعقل العربي في دائرة الثقافة العربية، وطبيعة النقد الذي وجه اليه سواء بالسلب ام الايجاب، تبقى كلها تؤشر لمدى ثراء هذا المشروع واصالته، لأنه نجح – وعلى مدار ثلاثين عاماً – على تحريك الاسئلة واثارت الاشكاليات والمقاربات في المشهد الثقافي العربي، فنحن سواء اتفقنا ام اختلفنا مع مشروع الجابري، فأن الذي لا يمكننا انكاره انه حتى القراءات النقدية التي أسست طروحاته عليه، والتي كشفت عن معالجات وقراءات مغايره بأسسها المنهجية لمشروع الجابري كانت بالنتيجة مسكونة بهاجس التجديد والحداثة والمعاصرة، وجميع هذه المحددات كانت من الاسس والاصول العامة التي تأسس عليها مشروع الجابري في نقده للعقل العربي.

ونظراً لتعدد وجود اشكاليات التي اثارها مشروع الجابري وتنوعها، فلقد كان اختيارنا في هذا البحث هو التوقف عند مسألة اساسية في مشروعه وهي " **نقد العقل البرهاني العربي** "واهمية هذا الاختيار ودواعيه تتأتى من ان محمد عابد الجابري وبعد تقسيمه للعقل العربي في مشروعة الى عقل بياني، وعقل عرفاني ، وعقل برهاني فأنه وبعد المقارنة والترجيح مال الى اليات وخصائص العقل البرهاني، ولذلك ستكون غايات هذا البحث هو كشفه لمحددات اشتغال هذا العقل ومرجعياته وأسسه في مشروعة.

لقد جاء هذا البحث في مبحثين اساسيين وخاتمة ، **فالمبحث الاول** والذي جاء بعنوان " **مفهوم العقل عند محمد عابد الجابري: خصائصه ، مكوناته** " كان بمثابة مدخل نظري عام حاولنه من خلاله التوقف عند معرفة الاسس التي استند عليها الجابري في تعريفه للعقل اولاً، والذي انسحبت معطياته في تقسيمه الثلاثي للعقل العربي في مشروعه ثانياً.

اما **المبحث الثاني** والذي جاء بعنوان " **العقل البرهاني ونقده عند محمد عابد الجابري**" فحاولنا من خلاله الكشف محددات اشتغال هذا العقل عند الجابري وخصائصه، وكذلك طبيعة معرفة النقد الذي وجه الجابري لهذا العقل في دائرة اشتغاله كنظام معرفي ساهم بتشكيل بنية العقل العربي ، كما أننا في سياق هذا المبحث حاولنا عرض بعض الانتقادات التي وجها قسم من الباحثين العرب لأليات اشتغال مفهوم العقل في مشروع الجابري بشكل عام، والعقل البرهاني بشكل خاص.

وانتهينا من بعد كل ذلك الى وضع **خاتمة** لخصنا من خلالها اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

اما من ناحية **منهجية هذا البحث** فلقد اعتمدنا على معطيات المنهج الوصفي في عرضنا لنقد العقل البرهاني العربي عند الجابري.

واما من ناحية **المصادر والمراجع**، فلقد كانت الاولوية لإسهامات الجابري نفسه وخاصة كتابيه " **تكوين العقل العربي**" و" **بنية العقل العربي** " ، كما اعتمدنا على قسم من المصادر الحديثة التي انشغلت بنقد وتقييم مشروع محمد عابد الجابري كان من اهمها " **التراث واشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي** " امبارك حامدي و " **العقل المستقيل والقطيعة المعرفية** " لعيسى الحجيري و " **جدلية العقل والمدينة في الفلسفة العربية المعاصرة** " لمحمد المصباحي ... وغيرها من المصادر.

وختاماً... يبقى مشروع الجابري " نقد العقل العربي " وما اثاره من اشكاليات ومقاربات قابلاً للدراسة والمعالجة من زوايا نظر منهجية مختلفة، لكننا حاولنا – وبجدنا المتواضع – تسليط الضوء ولو بشكل عام

على مسألة محورية وأساسية في مشروعة تتعلق بنقد العقل البرهاني، عسى ان نكون قد وفقنا في تقديم المعالم العامة لأبعاد هذا العقل في سياق مشروع الجابري .. ومن الله التوفيق.

توطئة :-

يعتبر مشروع محمد عابد الجابري في نقد العقل العربي من المشاريع الريادية والتأسيسية[1] التي قاربت منظومة التراث العربي الاسلامي برؤية وعدة منهجية مختلفة عن غيرها من الدراسات السابقة التي تصدرت لدراسة التراث والفكر العربي الاسلامي .

لقد اثار الجابري في مشروعه قضايا واشكاليات عديده، لكن مقاربته كان اساسها الجمع ما بين رؤية تجديدية تنطلق من داخل التراث وبين توظيفه لمكتسبات العلوم الحديثة ، خصوصاً على مستوى المنهج[2] ومن اهم تلك القضايا والاسئلة التي سعى مشروعه للإجابة عليها : كيف نقرأ تراثنا برؤية تجمع ما بين الاصالة والمعاصرة؟[3] وكيف السبيل الى استئناف نهضه عربية جديدة تقطع مع اسئلة التراث لتكون مواكبة لأسئلة الحاضر واشتراطاته ؟ ما هي الاطر النظرية التي من خلالها يمكن التوفيق بين مكتسبات الحداثة بدون فقدان خصوصيتنا وهويتنا الحضارية ؟ كيف نخرج من دائرة استلاب الاخر " الغربي"[4]، فنكون فاعلياً في دائرته وليس منفعلين ... تلك بعضاً من الاشكاليات التي حاول الجابري التصدي لمعالجتها في مشروعة .

اما بخوص مسألة نقد العقل البرهاني العربي في مشروعة – تحديداً – ومحاولة كشف ابعاد وخصائص وسمات هذا العقل ومرجعياته وأسسه ، فيمكن القول ان مثل هذا الامر لا يتم الا من خلال التوقف عند تحديد ابعاد ومفهوم العقل الذي اشتغل عليه الجابري، فهذا الامر هو الذي سيكشف لنا – لاحقا- لماذا انتهى الجابري لتقسيم هذا العقل الى عقل بياني وعقل عرفاني وعقل برهاني ؟ ولماذا كان كل نمط من انماط هذه العقول له خصائصه وسماته والياته ، والتي على اساسها حددت طبيعة اشكاليته في المجال الذي صدر عنه ؟

المبحث الاول
مفهوم العقل العربي عند محمد عابد الجابري : خصائصه، مكوناته

ان مفهوم العقل العربي عند الجابري، وكما تم الاشتغال على محدداته في مشروعة يعتمد في تعريفه على التميز الذي اقامه لالاند " للعقل المكون أو الفاعل ، والعقل المكون أو السائد الاول يقصد به النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حين البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ، وبعبارة أخرى انه الملكة التي يستطيع بها كل انسان ان يستخرج من ادراك العلاقات بين الأشياء مبادئ كلية وضرورية، وهي واحدة عند جميع الناس، اما الثاني فهو : مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالاتنا، وهي على الرغم من كونها تميل الى الوحدة فانها تختلف من عصر لآخر كما قد تختلف من فرد لآخر "[5].

---

(1) حول اصالة مشروع الجابري وريادته ينظر : كمال عبد اللطيف، اسئلة الفكر الفلسفي فـــــــي المغرب، مركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003، ص50 -80 .

(2)من ابرز الدراسات التي قاربت مسألة ابعاد المنهج في مشروع محمد عابد الجابري ينظر : نايله ابي نادر، التراث والمنهج، بين اركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2008، ص25-45 .

(3) لمراجعة رؤية الجابري لمثل هذه الاشكالية ينظر : محمد عابد الجابري ، المشروع النهضـــــــوي العربي ، مراجعه نقدية، مركز دراسات الوحد العربية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2009، ص20-50 ؛ كذلك محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية في الوطن العربي ، سلسلة قضايا الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2006 ، ص40-100.

(4) ينظر في ابعاد رؤية الجابري لمثل هذه المسألة : عبد السلام بن عبدالعالي ، سياسة التراث" دراسات في اعمال محمد عابد الجابري، دار تبوقال للنشر ، المغرب ، ط1، 2011 ، ص40-50.

(5) محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1998، ط7، ص 15.

وعلى اساس هذا التميز يؤكد الجابري الى أن " ما نقصده بـ " العقل العربي" هو العقل المكون، اي جملة المبادئ والقواعد التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين اليها كأساس لاكتساب المعرفة، او لنقل : تفرضها عليهم كنظام معرفي ، اما العقل المكون فسيكون هو تلك الخاصية التي تميز الانسان عن الحيوان أي " القوة الناطقة " باصطلاح القدماء ، وبهذا الاعتبار يمكن ا القول ان الانسان يشترك مع جميع الناس، اياً كانوا، وفي اي عصر كانوا في كونه يتوفر على عقل مكون وينفرد هو ومن ينتمي معه الى نفس الجماعة الثقافية بعقل مكون والذي هو عبار عن النظام المعرفي " مفاهيم، وتصورات" الذي يؤسس الثقافة التي ينتمون اليها[1].

اما من ناحية محاولة اكتشاف بنية هذا العقل وعن طريق روافده او مكوناته فتتم عند الجابري من زاويتين منهجيتين " فمن جهة يمكن النظر الى العقل العربي بوصفه عقلاً سائداً قوامه جملة مبادئ وقواعد تؤسس المعرفة في الثقافة العربية، وفي هذه الحالة يكون من الممكن جداً القيام بتحليل موضوعي علمي لهذه المبادئ والقواعد التي تشكل، في ذات الوقت ، اساسيات المعرفة، او نظمها، في الثقافة العربية ، ومن جهة اخرى يمكن النظر الى العقل العربي بوصفة عقلاً فاعلاً ينشئ ويصوغ العقل السائد في فترة تاريخية ما، الشيء الذي يعنى انه بالإمكان انشاء وصياغة مبادئ وقواعد جديدة تحل محل القديمة ، وبالتالي قيام عقل سائد جديد، او على الاقل تعديل او تطوير ، او تحديث او تجديد العقل السائد القديم "[2].

اما فيما يتعلق بالخصائص او السمات التي تميز " العقل العربي" مقارنة بالعقل الاوربي فأن الجابري يذهب الى القول " انما يميز العقل العربي بوصفه عقل الثقافة العربية الاسلامية، هو ان العلاقات داخله تتمحور حول ثلاثة اقطاب: الله ، الانسان ، الطبيعة ، واذا اردنا تكثيف هذه العلاقة حول قطبين اثنين فقط، كما فعلنا بالنسبة للعقل اليوناني – الاوربي، وجب ان نضع في احدهما الله، وفي الاخر الانسان، اما الطبيعة فلا بد، في هذه الحالة، من تسجيل غيابها النسبي لربما بنفس الدرجة التي سجلنا بها غياب الله في بنية العقل اليوناني – الاوربي كما عرضناها قبل قليل، ليس هذا وحسب، بل يمكن القول ان الدور الذي تقوم به فكرة الله في الفكر اليوناني – الاوربي، تقوم به الطبيعية في الفكر العربي، ودور الوسيط او القنطرة: في الفكر اليوناني – الاوربي توظف فكرة الله من اجل تبرير مطابقة قوانين العقل لقوانين الطبيعة ، وبالتالي من أجل إضفاء المصداقية على المعرفة العقلية، اي جعلها يقينية ، وبعبارة أخرى ان فكرة الله تقوم هنا بدور " المعين" للعقل البشري على اكتشاف نظام الطبيعة واكتناه اسرارها، اما في " العقل العربي" كما تشكل داخل الثقافة العربية الاسلامية، فالطبيعة هي التي تقوم بدور المعين للعقل البشري على اكتشاف الله وتبين حقيقته ، هنا في الثقافة العربية الاسلامية يطلب من العقل ان يتأمل الطبيعة ليتوصل الى خالقها : الله وهناك في الثقافة اليونانية – الاوربية يتخذ العقل من الله وسيلة لفهم الطبيعة او على الأقل ضامناً لصحة فهمه لها "[3].

اما من ناحية مكونات هذا العقل او النظم المعرفية التي ساهمت بتشكيل هذا العقل لرؤى وتصوراته عن العالم والوجود والطبيعة داخل دائرة التراث العربي فتتأس عند الجابري على ثلاثة مكونات او نظم معرفية اساسية هي :

1- النظام المعرفي "البياني ": يؤسس على الموروث العربي الاسلامي الخاص : اللغة والدين .
2- النظام المعرفي العرفاني : ويؤسس على قطاع اللامعقول او العقل المستقبل في الموروث القديم : الهرمسية أساساً .
3- **النظام المعرفي البرهاني : يؤسس على الفلسفة والعلوم العقلية " الارسطية خصوصا" وهو وصل الى الثقافة العربية الاسلامية متأخراً ، وبعدما كانت قد ترسخت مفاهيم وآليات النظامين السابقين**

(1) محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، ، ص 16.
(2) الجابري : تكوين العقل العربي ، ص 16.
(3) المصدر نفسه، ص 29.

المتنافسين والمتصارعين، فكان حضوره لحظة جديدة في هذه الثقافة هي لحظة حضور العقل الكوني فيها[1].

يمكن القول اذن – وعلى اساس ما تقدم – ان زاوية نظر الجابري لمفهوم العقل لم تعنى " بالعقل كعقل عام ، اي بالعقل الذي تنظر فيه الفلسفة نظرة كلية مطلقة، والتي بموجبها يكون هو المحدد الجوهري لماهية الانسان بما هو انسان، وانما اهتم بالعقل كذات خاصة بالثقافة العربية، أي بتاريخ معين لجماعة ثقافية محددة ، بعبارة اخرى، لم يكن الجابري يعير أية أهمية للعقل المكون ، وهو العقل المشترك العام بين كل الانسانية الذي بطبيعته المطلقة يلغى أي تميز بين الأفراد والجماعات والثقافات، بل ما كان يشغل باله هو العقل المكون اداة تميز الجماعات الثقافية، من أجل الوصول الى تشخيص العقل الخاص بجماعة ثقافية معينة هي الجماعة العربية ، لكن منن دون أن يفهم من ذلك أنه كان يقصد معناه الانثروبولوجي أو الاثنولوجي، وانما معناه الايبيستيمولوجي"[2].

لكن محمد عابد الجابري وكما يقول محمد المصباحي لا يقدم لنا " ايضاحات حول نوعية علاقة العقل العربي بالأنظمة او العقول الاربعة ، هل هي من نوع العلاقة المنطقية بين جنس وانواعه، أم هي من نوع العلاقة الطبيعية بين مادة وصور متعددة متعاقبة عليها، ام هي من صنف العلاقة الانطولوجية بين اجناس متغايرة لا تقبل الانضواء تحت بعضها البعض الاخر ، وان كانت تقبل ان تحمل كلها على معنى رئيسي واحد فيها يكون بمثابة جوهر لها كما هو الحال في علاقة المقولات العشر بالموجود؟ ان رؤية الجابري للصلات بين هذه الانظمة لا يخلو من التباس؛ فهو وإن كان ينظر اليها من خلال علاقة الاختلاف، بل واحياناً عبر صلة المغايرة والتضاد، نجده يفتح قنوات متعددة للاتصال بينها ، ان معطى تلاشي حدة الاختلاف والتقابل شيئاً فشيئاً بين الانظمة العقلية الثلاثة نتيجة تراخي المد العقلاني للحضارة العربية الاسلامية، وانحلال تلك الأنظمة في عقل رابع جامع لسلبياتها، يشير الى أن العلاقة بين العقول الأربعة لا يمكن أن تكون من نوع علاقة أجناس الموجود " المقولات" بجنس أعلى " الموجود" لأن مثل هذه العلاقة لا تقبل الذوبان بحكم قيامها على حفظ التعدد والاختلاف بينها؛ ولا هي من نوع علاقة جنس بأنواعه، لأن مثل هذه العلاقة تقتضي التساوي في الطبيعة بين الانظمة العقلية الاربعة بالقياس الى العقل العربي، والحال أنها مختلفة ومتصارعة في حالة الصراع او متواطئة في حالة الارتخاء، واخيراً لا يمكن أن تكون علاقة العقل العربي بالعقول الاربعة من طراز علاقة المادة بصور متعاقبة عليها، لان مثل هذه العلاقة تعني فناء العقل السابق وحلول عقل جديد محله، والحال أن العقول الاربعة متعايشة معاً في الزمن والمكان نفسها "[3].

المبحث الثاني

العقل البرهاني ونقده عند محمد عابد الجابري

انتهى الجابري في تحليله لبنية تشكل العقل العربي – وكما قلنا سابقاً – الى انها قامت على ثلاثة نظم او عقول معرفية، لكن هذه النظم ضلت بمنظوره عبارة عن " بنى متمايزة من حيث مراجعها وأسسها، فالعقل البياني يقوم على جملة من المبادئ والمفاهيم والاجراءات التي تعطي لعالم المعرفة ذاك بنيته اللاشعورية، وتتمحور تلك المبادئ والمفاهيم والاجراءات حول ثلاثة أزواج معرفية رئيسية هي : اللفظ / المعنى، الأصل / الفرع، الجوهر / العرض ويتميز هذا النظام المعرفي باعتماده قياس الغائب على الشاهد منهجاً في انتاج المعرفة، اما العقل العرفاني، فهو نظام معرفي تختزل مبادئه ومفاهيمه وإجراءاته في الزوج: الظاهر/ الباطن في مجال اللغة الذي يكافئ الزوج: اللفظ/ المعنى في النظام البياني، والزوج: الولاية/ النبوة في مجال السياسة الذي يكافئ الزوجين ، الاصل/ الفرع، والجوهر / العرض في النظام البياني، ويقوم منهجياً على الكشف والوصال وعلى التجاذب والتدافع، ويكرس النظام البرهاني رؤية للعالم قائمة على السببية، وتتمحور مبادئه وآلياته ومفاهيمه حول قطبين : الاول، منهجي يوظف الزوج:

(1)عيسى الحجيري ، العقل المستقيل والقطيعة المعرفية " قراءة منهجية – نقدية مع الجابري في الفلسفة العربية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2018 ، ط1 ، ص 143.

(2)محمد المصباحي ، جدلية العقل والمدينة في الفلسفة العربية المعاصرة ، منتدى المعارف ، بيروت ، 2013، ط1 ، ص 148.

(3) محمد المصباحي ، جدلية العقل والمدينة في الفلسفة العربية المعاصرة ، المصدر السابق ، ص 156-157.

الالفاظ / المعقولات الذي يكافئ الزوج: اللفظ/ المعنى في النظام البياني، والثاني يخص الرؤية ويوظف الزوج : الواجب / الممكن الذي يكافئ الزوجين البيانيين : الاصل/ الفرع والجوهر/ العرض" [1].

ان ميزة العقل البرهاني وخصائصه عند الجابري قياساً بالعقلين البياني والعرفاني، هو انه اذ كان " البيان يتخذ من النص والاجماع والاجتهاد سلطات مرجعية اساسية ويهدف الى تشييد تصور للعالم يخدم عقيدة دينية معطاة عي العقيدة الاسلامية او بالأحرى نوعاً من الفهم لها وإذا كان العرفان يتخذ من الولاية، وبكيفية عامة من الكشف الطريق الوحيد للمعرفة ويهدف الى الدخول في نوع ما من الوحدة مع الله ، وهذا هو موضوع المعرفة عند أصحابه، فإن البرهان يعتمد قوى الانسان المعرفية الطبيعية، من حس وتجربة ومحاكمة عقلية، وحدها دون غيرها، في اكتساب معرفة بالكون ككل وكأجزاء، لا بل لتشييد رؤية للعالم يكون فيها من التماسك والانسجام ما يلي طموح العقل الى اضفاء الوحدة والنظام شتات الظواهر ويرضى نزوعه الملح والدائم الى طلب اليقين "[2].

ان مبادئ ومحددات العقل البرهاني العربي من منظور الجابري هي التي قامت على مقولات البرهان الارسطي، ولذلك يذهب الى القول " ان الذين تبنوا "البرهان" الأرسطي، منهجاً ورؤية، في الثقافة العربية الاسلامية، قد وظفوه ككل وكأجزاء في خدمة أهداف لم تكن بالضرورة منحصرة في "المعرفة من أجل المعرفة " كما كان الشأن عند ارسطو، بل لقد وظفوه لخدمة اهتماماتهم الدينية والايدلوجية التي كانت ذات علاقة مباشرة بالعقيدة الاسلامية، ولكن مع ذلك يبقى أن " البرهان" كنظام معرفي بقي متميزاً، منهجاً ورؤية عن لبيان والعرفان بكونه يعتمد منهج أرسطو ويوظف جهازه المفاهيمي والهيكل العام للرؤية التي شيدها عن العالم، عن الكون والانسان والله، مما جعل منه عالماً معرفياً خاصاً يختلف عن عالم البيان وعالم العرفان ويدخل معهما، وبكيفية خاصة مع البيان، في علاقة احتكاك وصدام "[3].

واذا كان لكل نظام معرفي – عند الجابري- سواء كان بيانياً او عرفانياً وظيفة ليست معرفية فقط، وانما ايدلوجية، ما هي الغايات التي استدعت بنظر الجابري الاشتغال على مبادئ وأسس العقل البرهاني في منظومة الثقافة العربية والاسلامية؟

يجيب الجابري من ناحية مشروعية تأسيس العقل البرهاني، والاشتغال علية وادخاله في منظومة المعرفة والتراث العربي ، بأن مسألة العمل بمنهجية مختلفة عن العقل البياني والعرفاني " فمن جهة اولى يتعلق الأمر بمنهج في التفكير وبتصور للعالم يختلفان تماماً عن المنهج والتصور اللذين تم ارساؤهما في الثقافة العربية الاسلامية بمعطياتها الخاصة: اللغة والدين، ومن جهة ثانية يتعلق الأمر بعالم من المعرفة يكفي نفسه بنفسه، تأسس بوسائله الخاصة التي هي العقل وما يضعه من أصول، وإذن فلن يكون من المقبول، ولا حتى من الممكن، أن يستند أصحابه في تأسيسه ، داخل الثقافة العربية الاسلامية ، الى السلطات المرجعية التي تعتمدها هذه الثقافة : القران والحديث وتجربة السلف، لا بد اذن من سلوك طريق آخر في التأسيس غير الطريق الذي سلكه أهل البيان وأصحاب العرفان، وبما أن البرهان يعتبر منهجه أقوم منهج، بل المنهج الوحيد الموصل الى " العلم" ويعتبر الرؤية التي يقدمها عن العالم أمتن وأكمل من اية رؤية أخرى، لأنها " العلم" ذاته، فمن المنتظر ألا يعتمد طريقه أخرى في تأسيس نفسه غير طريقته هو، طريقته البرهانية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فبما أن النظام المعرفي الأساسي والرسمي وصاحب السلطة في الثقافة العربية الاسلامية – على الاقل في عصر الترجمة – هو البيان، فمن المنتظر كذلك أن يكون المخاطب الوحيد في عملية التأسيس هو "البيان"، فهو صاحب الدار، وهو الذي يملك الشرعية والمشروعية، أما العرفان فهو، فضلاً عن كونه في الاصل امتداداً ل " العقل المستقيل " قبل الاسلام، فإنه كان في الثقافة العربية الاسلامية منازعاً في شرعيته وكان نضاله هو نفسه، طوال تاريخه، نضالاً من أجل الشرعية، وإذن فتأسيس البرهان داخل الثقافة العربية الاسلامية سيكون عبارة عن ترتيب معين

---

(1)امبارك حامدي، التراث واشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي " بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2017، ط1 ، ص 140.

(2) محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي " دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة المربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2000، ط6، ص383- 384.

(3) المصدر نفسه ، ص383- 384.

للعلاقة بينه وبين "البيان" لا غير وهذا ما حصل فعلاً، فلننظر اذن كيف عمل فلاسفة الاسلام عن ترتيب العلاقة بين " البيان" و " البرهان" ترتيباً " برهانياً"[1].

غير ان هذا " التأسيس الجزئي السجالي غير كاف، فالفلسفة، وفلسفة أرسطو بالخصوص، وهي موضوع التأسيس، كل لا يتجزأ ، هي منهج ورؤية ، ولا يمكن تأسيس أجزاء من الرؤية، او الرؤية كلها، دون تأسيس المنهج، فالرؤية هي نتاج المنهج هذا من جهة، ومن جهة أخرى فبما أن دائرة خصوم الفلسفة في الثقافة العربية الاسلامية ستتسع باتساع المجالات التي ستطرقها، وبما أن النحو والبيان، وقد كانا علماً واحداً في أول الامر، لم يكونا مجرد قواعد للغة، بل كانا يحددان أيضا منهجاً في التفكير، اي يكرسان منطقاً معيناً، فأن من المنتظر ان يقوم النحاة بدورهم برد فعل معاد، ان لم يكن للفلسفة ككل، فعلى الاقل للمنطق الذي سيرون فيه " نحواً " آخر منافساً لنحو اللغة العربية بوصفه منطقاً لهذه اللغة، وهذا ما حصل فعلاً بعد الكندي مباشرة، أعني بعد المرحلة التي يمثلها، ومناظرة أبي سعيد السيرافي النحوي مع أبي بشر متى المنطقي، كانت اعلاناً عن بلوغ الصراع أوجه بين منطق البيان ومنطق البرهان، لقد كان لا بد اذن من بناء تصور شامل للعلاقة بين البيان منهجاً ورؤية، وبين البرهان منهجاً ورؤية، تصور شامل يتم في اطاره وبالاستناد اليه ترتيب العلاقة بين المنهجين والرؤيتين : بين النحو والمنطق من جهة ، وبين الفلسفة والملة من جهة اخرى ، وتلك هي المهمة المضاعفة التي اجتهد الفارابي في القيام بها "[2].

ويطرح الجابري نقداً للعقبات التي واجهت سيادة العقل البرهاني ومسألة صراعه مع اليات اشتغال العقل البياني والعرفاني في داخل المنظومة العربية الاسلامية بأنه اذا اردنا بيان " الكيفية التي تأسس بها المنطق في الثقافة العربية الاسلامية أمكن القول بدون تردد ان المنطق الارسطي قد تأثر في عملية تأسيسه بإشكاليات المنهجية البيانية، وبالخصوص اشكاليتي اللفظ والمعنى والقياس والتعليل، وهذا شيء طبيعي فالمنطق الارسطي كمنهج قد أريد له ان يحل محل منهج آخر ، فكان لا بد لإثبات جدارته كبديل أفضل ان يقدم حلولاً للمشاكل المستعصية التي لم يستطع المنهج السابق تجاوزها ، وكما يحدث دائماً فالمنهج لا يقتصر على مشاكل موضوعه غلا اذا تكيف هو نفسه مع طبيعة هذا الاخير، لقد اصطدم المنطق الارسطي في عصر الترجمة بـ " منطق" البيان العربي الثاوي وراء علوم اللغة بكيفية عامة، والنحو بكيفية خاصة ، وبما أن مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى كانت المسألة المركزية في منطق البيان فلقد كان لا بد للمنهج الوافد لتأسيس نفسه من طرح تصوره هو للعلاقة بين اللفظ والمعنى وبيان ضعف او نقص التصور السائد، الشيء الذي يتطلب الخوض في هذه المسألة خوضاً واسعاً، وهذا ما حدث بالفعل فقد اكتسى مبحث الالفاظ ودلالتها المنطقية أهمية خاصة واصبح يشكل، منذ الفارابي، احد الموضوعين اللذين يستقطبان لبحاث المنطق كلها : موضوع التصور "[3].

ومن الجدير بالذكر ان هنالك نقداً قد وجه لمفهوم العقل الذي تبناه الجابري، والذي على اساسه قام بتقسيم ثلاثي للعقل العربي الى عقل بياني وعقل عرفاني وعقل برهاني " فلقد تبنى الجابري الجابري مفهوماً للعقل والعقلانية يضيق ضيقاً عن استيعاب معقوليات تختلف معقوليته الخاصة، وهو مفهوم ينتمي الى اطروحات عصر الانوار التي تقيم مقابلة حدية صارمة بين العقل واللاعقل، وبين العقلانية واللاعقلانية "[4].

كذلك " تضاف الى صفتي السجالية وقبل نقدية صفة ثالثة تعمق ضيق عقل ناقد العقل العربي وعقلانيته، وهي صفة اللازمنية ، فالعقل الذي تبناه هو عقل يمتد من أرسطو الى ابن رشد وصولاً الى العقل الاوربي الحديث، لم يتغير ، نعم . كان يحجب او يحتجب أحياناً ولكنه سرعان ما يشرق من جديد "[5].

---

(1) محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي " دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة المربية ، المصدر السابق، ص415-416.

(2) محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي " دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة المربية ، ، ص418.

(3) المصدر نفسه ، ص442.

(4) امبارك حامدي، التراث واشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي " بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي ، المصدر السابق، ص309.

(5) المصدر نفسه ، ص309.

وبذلك يترتب على هذا الامر انه قد انسحب " عن ضيق مفهوم العقل والعقلانية عند الجابري اعتباره الجدل بين العقول العربية الثلاثة مجرد اختراقات وعامل وهن وضعف لا عامل خصوبة وثراء، كما هو الشأن في حكمه على فكر الغزالي الذي تداخل فيه العرفاني والبياني، وعلى فكر ابن سينا الذي جمع بين البرهاني والعرفاني "[1].

الخاتمة

يمكن تلخيص اهم النتائج التي انتهى اليه البحث بما يلي:

اولاً : ان العقل البرهاني العربي من خلال رؤية الجابري لمحددات هذا العقل واليات اشتغاله كما أسس لهما في مشروعة " نقد العقل العربي " هو ذلك العقل الذي تشكل في اطار الثقافة العربية الاسلامية ، وهو يعتبر بنظره مرحلة متقدمة عن العقل البياني والعقل العرفاني .

ثانياً : قامت أسس العقل البرهاني بنظر الجابري على مكتسبات الفلسفة والعلوم العقلية – تحديداً الارسطية – وقد تم الاستفادة من مقولات هذا العقل ومبادئه الفلسفية وتوظيفها في العلوم العقلية والنقدية في دائرة التراث العربي الاسلامي خصوصاً في حقلي الفلسفة وعلم الكلام.

ثالثاً : كانت للعقل البرهاني بمنظور الجابري وظيفة ايدلوجية ومعرفية تجلت ابعادها في محاولة الخروج من دائرة ومحددات العقل البياني والعرفاني ، والانتقال من انساق الرؤية البيانية والعرفانية لمقاربة قضايا الوجود والعالم والطبيعة والانسان الى الرؤية العقلية ، لكن رغم اهمية ما حققته مكتسبات هذا العقل في روافد الثقافة العربية الا ان الانتصار النهائي بمنظور الجابري كان لهيمنة العقل البياني الذي بقي يشكل بالياته بنية العقل العربي قديماً وحديثاً .

رابعاً : ان الاثر الهام الذي احدثه الاشتغال لأليات العقل البرهاني داخل الحضارة العربية الاسلامية تجلت بشكل واضح بمنظور الجابري عند ابن رشد، حيث كشفت فلسفته عن ابعاد صراع هذا العقل مع العقل البياني والعرفاني ، وقد كان اهم ما توصل اليه ابن رشد بخوص مسألة توظيفه للعقل البرهاني في منظومته الفلسفية هو اقراره بمبدأ الفصل بين الدين والدولة.

المصادر والمراجع

1- امبارك حامدي، التراث واشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي " بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2017، ط1 .
2- عبد السلام بن عبدالعالي ، سياسة التراث" دراسات في اعمال محمد عابد الجابري، دار تبوقال للنشر ، المغرب ، ط1، 2011 .
3- عيسى الحجيري ، العقل المستقيل والقطيعة المعرفية " قراءة منهجية – نقدية مع الجابري في الفلسفة العربية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2018 ، ط1 .
4- كمال عبد اللطيف، اسئلة الفكر الفلسفي فـــــــي المغرب، مركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003.
5- محمد المصباحي ، جدلية العقل والمدينة في الفلسفة العربية المعاصرة ، منتدى المعارف ، بيروت ، 2013، ط1 .
6- محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية في الوطن العربي ، سلسلة قضايا الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2006 .
7- محمد عابد الجابري ، المشروع النهضـــــــوي العربي ، مراجعه نقدية، مركز دراسات الوحد العربية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2009.
8- محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي " دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة المربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2000، ط6 .

(1)المصدر نفسه ، ص309.

9- محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1998، ط7 .
10- نايله ابي نادر، التراث والمنهج، بين اركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2008.